في الذكرى الثالثة والعشرين لتأسيس حزب البعث العربي الإشتراكي :

في ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي يتساءل المواطن العربي ما هي الخصائص التي تميزت بها هذه الحركة فجعلتها قادرة على الثبات والصمود في معارك النضال في حين تهاوت حركات وتيارات كثيرة ؟ واذا كانت لهذه الحركة خصائص تميزها عن غيرها، فماذا تستطيع أن تقدم لمعالجة النكسة المصيرية الشاملة التي تمر بها الامة العربية ولمتابعة المعركة حتى يتم التحرير ؟

لقد اثبت البعث خلال ربع قرن من النضال المستمر ضد اعداء الامة العربية انه جاء استجابة لحاجات الامة في هذه المرحلة من مراحل تاريخها ، وما قاد اليه من انتصارات ومكاسب ، انما كان نتيجة التفاعل الدائم والمستمر مع الجماهير العربية • والدليل الحي على عمق هذا التفاعل ، هو ان هذه الحركة صمدت حتى الان لشتى التغييرات والتطورات ، لا بل ان الزمن زادها وضوحا وكشف عن قيمتها واهميتها وخصائصها الجوهرية •

القطريّة أصبحت ظاهـرة مُدانـة ومهـزومة

لقد اثبت البعث انه حركة تاريخية لا من حيث استمراريته فحسب ، بل من حيث قدرته على التأثير في التاريخ ايضا ، وعلى سير تطور الشعوب • لقد كان سباقا ورائدا في نظرته الى العلاقة بين الثورة القومية والثورة الاشتراكية ،ففيما كانت النظرة السائدة عند ولادة البعث تفترض التناقض بين الثورتين،جاء الحزب لكي يربط بينهما ويؤكد أن الثورة الاشتراكية لا يمكن أن تتم الا في دولة الوحدة ، اما الدولة القطرية فما يتم فيها لا يزيد عن كونه اصلاحات اشتراكية •

وكما اثبت البعث انه حركة تاريخية في نظرته لعلاقة النضال القومي بالنضال الاجتماعي ، فقد اثبتها ايضا في نظرته لعلاقة النضال القومي بالنضال الانساني• ان القومية التي امن بها البعث كانت قومية شعب مضطهد يعيش مرحلة صراع ضد الاستعمار، فكانت قومية حب وعطاء، قومية منفتحة على الشعوب والامم الاخرى• قومية تناضل ضد التسلط والقهر وسائر انواع المظالم التي تنزلها الشعوب القوية بالشعوب المتخلفة •

وكما كان البعث تاريخيا في فهمه لعلاقة النضال القومي بالنضال الاجتماعي وبالنضال الانساني ، كان تاريخيا ايضا في فهمه للوحدة العربية ، وفي النضال من اجلها بحيث اعتبر نفسه واعتبرته الجماهير انه حزب الوحدة •

لقد ادرك البعث ان الطريق الى الوحدة هو وحدة الجماهير الكادحة والمناضلة ضد الاستعمار والتخلف والتجزئة• ولكنه ادرك ايضا ، وقبل كل ذلك ان وحدة النضال لا تكفي ، فلا بد من النضال من اجل الوحدة حتى تتحقق •

ان هذه الخصائص الفكرية والنضالية هي التي مكنت البعث من الصمود في المعارك الكفاحية ، حتى في تلك المعارك التي كانت تتطلب قدرات تفوق قدراته وطاقاته • وبالاخلاص لهذه الخصائص والميزات يستطيع البعث ان يواصل مسيرته الثورية وان يسهم اسهاما رئيسيا في الرد على هزيمة حزيران •

ان اخلاص الحزب لمنطلقه الاساسي ومنشأة الاصيل هو الذي مكنه على الدوام من كشف كل التيارات الانحرافية التي حاولت تخريب الثورة العربية • ان اخلاصه للوحدة العربية ، هو الذي اوصله الى صدام محتوم ليس فيه مجال لتسوية او هدنة مع النزعات والمصالح القطرية ، خاصة عندما تتمثل في الحزب• لقد انشقت هذه عن الحزب ، حزب الوحدة العربية ، في محاولة واعية ومخطط لها لضرب الحزب وللاحتفاظ باسمه وشعاراته• ولكن الانشقاق كان نصرا كبيرا للحزب وتجديدا وتعميقا لفكرته الاساسية ، لانه فرز القطرية في خارجه • هذا لا يعني انه لم تعد هناك قطرية داخل الحزب ، الا ان للقطرية مواقع ورواسب لا يمكن التغلب عليها ، ما لم يتم تحرير المجتمع العربي منها • ولكن معنى ذلك ان القطرية اصبحت رواسب مهزومة ومتراجعة • لم تعد هناك قطرية تتكلم بلغة البعث ، ولم تعد التجزئة والقطرية تسمي نفسها وحده• هذا كله فرز خارج الحزب • اما الحزب فقد اصبحت القوة الفاعلة فيه هي الفكرة الوحدوية والاتجاه الوحدوي •

ان هذا الفرز ما كان ليتم لو لم يكن البعث منذ نشأته قد طرح نفسه كحركة تاريخية قادرة على التضحية بالمكاسب الصغيرة من اجل الحفاظ على نقائها الثوري • وقادرة ايضا على ان تتصدى بفضل هذا النقاء للتحديات الكبرى وان تحقق منجزات تاريخية • ان هذا المستوى التاريخي لحركة البعث يخلق جوا ضاغطا باستمرار يعصم مناضلي الحزب ومنظماته من التردي ، كما انه يدفع الى الاعمال والانجازات الكبرى ، كما برهن على ذلك مناضلو البعث في العراق • فحل قضية الاكراد يتميز بانه تتوافر فيه كل شروط الحل النهائي والعميق والابدي ، تحقق في ظرف تاريخي وعلى يد حزب تاريخي

الظرف التاريخي هو معركة الامة العربية في صراعها المصيري مع الاستعمار والصهيونية والرجعية • والحزب هو الذي انطلق منذ بداية تأسيسه من فكرة عن القومية العربية الحديثة ، بابعادها الانسانية ، المستخلصة من تجربة طويلة، تجربة الامة ضد الاستعمار والتخلف والاستبداد والاستغلال • فلم يكن ممكنا لهذا الحزب باتجاهه الثوري الانساني المعروف ، وفي هذا الظرف المصيري التاريخي ، الا ان يغتنم هذه الفرصة فيعطي لمفهومه الانساني تجسيدا عمليا في قضية من اخطر قضايا الامة العربية • ويضع بذلك حدا لهدر طاقات لا يجوز الا ان تصب في المعركة الاساسية ضد الاستعمار والصهيونية ، ويكسب للعراق وللامة العربية كلها ، بل لمعركة الحرية في العالم مشاركة الشعب الكردي في النضال من اجل التحرر والتقدم •

ان هذا الشعب الشقيق الذي تربطه بالامة العربية أخوة الاجيال والقرون ، لم يكن من الممكن في هذا الظرف التاريخي ، في ظرف تآمر وتكالب كل قوى البغي والعدوان على الامة العربية،ما كان ممكنا ان يرضى لنفسه ان تنحرف حركة انبعاثه القومي وتطبع بطابع يعوق مسيرة الثورة العربية او يطعنها في الظهر • انه لم يكن غير الحزب القومي • غير حزب الوحدة العربية قادرا على انجاز هذه الخطوة التي تكمن فيها ملامح وتباشير الوحدة العربية • وهذا دليل عملي على ان من يحقق مثل هذا الانجاز يستطيع ان يحقق الوحدة العربية •

واذا كانت تاريخية البعث تقاس بثباته وصموده وفي قدرته على الانتصار في معارك النضال • وعلى تقديم الحلول الصائبة للمعضلات القومية ، فان الدليل الاخر على تاريخية البعث ، وعلى قدرته على العطاء انه كان دوما يضع السلطة في مكانها الصحيح والطبيعي • ففي منطق الحزب ومن خلال تجربته والواقع العربي يظهر ان السلطة • هي دوما قطرية ، وان هناك تلازما بين الاثنين • الا ان الصفة والعقيدة القومية للحزب كانت تشكل دوما اكبر وقاية واعمق تصويب لسير السلطة في قطر من الاقطار

هنا تظهر ميزة الحزب القومي او الصفة القومية للحزب فكريا وتنظيميا ونضاليا، لانها تفعل باستمرار باتجاه توسيع آفاق السلطة في القطر الذي يحكمه الحزب ، من خلال التفاعل المستمر مع رقابة الحزب في الاقطار الاخرى • ومن خلال التفاعل مع نضالات منظمات الحزب المنتشرة في الوطن العربي •

« الاحرار »